

آثار العفو والغفران



العفو من الصفات الحميدة التي يتحلى بها الإنسان لأنّها لا تصدر إلّا من نفس كبيرة راحة العقل صبرت على اعتداء الغير وأذاه. إنّ اعتداء الغير علينا لا يكون إلّا من نفس مريضة حجب الشرّ صوابها فأجدر بنا أن نعفر لها. إنّنا كثيراً ما نخطئ فنفتقر إلى العفو والغفران، وإن لم نعفر لمن أساء إلينا فلا يُعفر لنا، وإن أردنا الانتقام من المعتدي فلننتقم بالإحسان إليه بأنّ مقابلة الإساءة بالإحسان تنزع من المعتدي البغضاء وتتركه مندهشاً فيرتد غالباً عن غيه وتنقلب بغضاؤه إلى مودة. ولهذا مدح القرآن العفو في كثير من المواضع في القرآن كقوله: (وَإِن تَعَفُّواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَتَّعَفَّرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (التغابن/ 14). ووصف القرآن المؤمنين الصادقين بقوله: (وَيَذَرَّوْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) (الرعد/ 22). أي يدفعون بالعمل الصالح السيء من الأعمال. ودعا القرآن إلى مقابلة شرور الناس بالإحسان إليهم لأنّ ذلك داعية إلى نزع العداوة من قلوبهم وإحلال المودة مكانها: (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (فصلت/ 34). ولما كانت بعض النفوس جبلت على الاعتداء، فقد وضع الإسلام علاجاً لها لمنعها من التمادي في غيها، وهو مقابلتها بالمثل بدون إسراف أو ظلم، ولكن بالرغم من هذا لم يغفل من ترجيح العفو. قال تعالى: (وَإِن عَافَيْتُمْ فَاعْفُواْ بِمِثْلٍ مَّا عَوقَبْتُمْ بِهِ وَالَّذِينَ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ) (النحل/ 126). وقال سبحانه: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَافَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ* وَالَّذِينَ انْتَبَهَتْ بَعْدَهُ طُلُومُهُ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ* إِنَّهُمْ السَّابِقُونَ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ* أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ* وَالَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَفَّوْاْ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (الشورى/ 40-43). هذا هو مذهب الإسلام في العفو وإنّ ما دعا إليه الإسلام هو ما تدعو إليه الفطرة السليمة، وذكر العفو في القرآن والقصاص أيضاً ونذكر هذه المعادلة حيث لا شك أنّ الإنسان إذا عفا وهو متمكن من القصاص كان عفوّه فيه رحمة وعزّة أما إذا دعواته إلى العفو من أوّل الأمر، ولم نجعل له حقاً في القصاص، فإنّ استجاب - وقلّ ما يستجيب - فعل ذلك وهو برم وساخط، لأنّه عفو الضعيف لا عفو المقدرّة والعزّة كما دعا الإسلام، والعفو كما دعا إليه الإسلام يؤدي في كثير من الأحيان إلى صداقة قوية بين المتخاصمين، لأنّ المعتدي يؤلمه هذا العفو من قادر على القصاص فيعمل على إرضائه ومحو أثر الاعتداء من نفسه.